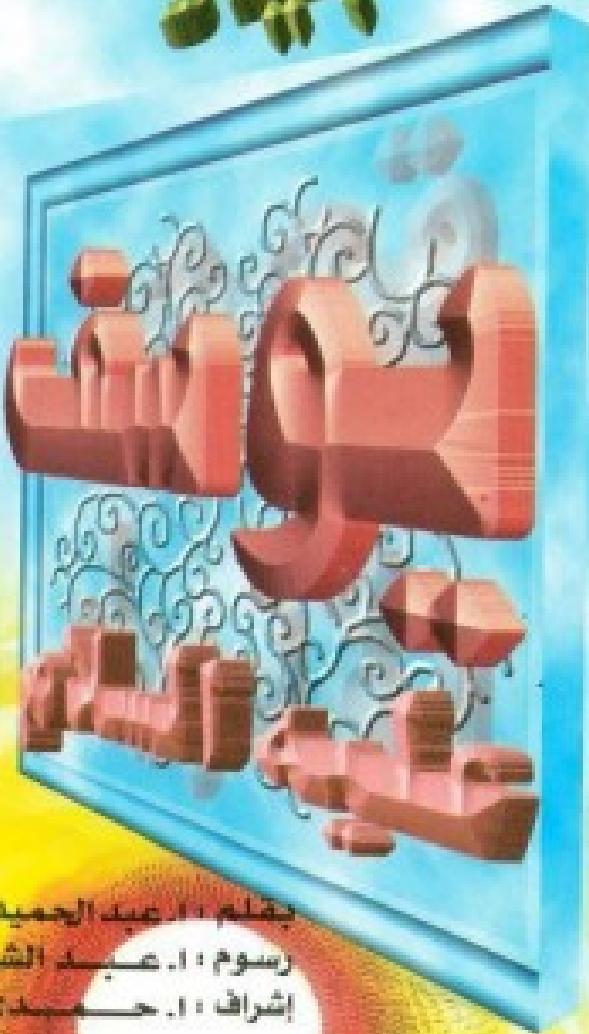


١٦



الجزء الأول

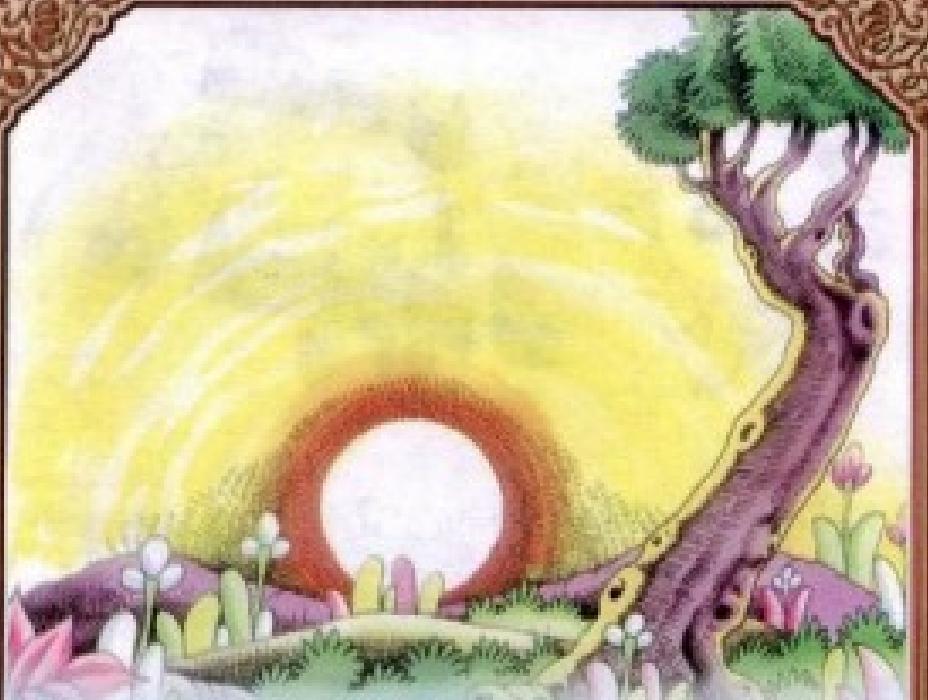
الحلم



بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : حبيبة الشافعي سيد

إشراف : حمدي مصطفى



نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفُ هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -
فِيهِ نَبِيٌّ مِّنْ سُلَالَةِ أَنْبِيَاءِ . . .
وَقَدْ ذُكِرَتْ قَصَّةُ يُوسُفَ كَامِلَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فِي
«سُورَةِ يُوسُفَ» . . .
وَسَبَبَ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ ، أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ طَلَبُوا مِنَ
الرَّسُولِ أَنْ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ قَصَّةَ نَبِيِّهِمْ يُوسُفَ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى قِصْطَنَةً كَامِلَةً فِي هَذِهِ السُّورَةِ . . .

وَبِدأَ قِصَّةُ يُوسُفَ بِحَلْمٍ .. حَلْمٌ رَأَهُ الصَّغِيرُ
يُوسُفُ ..

فَمَاذَا رَأَى يُوسُفُ ١٩

رَأَى يُوسُفَ أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ
سَاجِدِينَ لَهُ ..

أَيْ حَلْمٌ غَرِيبٌ هَذَا الَّذِي رَأَاهُ يُوسُفُ ، وَهُوَ لَمْ يَرَهُ
صَبِيًّا صَغِيرًا ١٩ وَلَكِنَّ الْغَرَابَةَ تَزُولُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ يُوسُفَ
كَانَ لَهُ مِنَ الْإِخْوَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَخًا ..

وَذَهَبَ يُوسُفُ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ يَقْصُنُ عَلَيْهِ مَا رَأَاهُ فَائِلًا :
« يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ
وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ». .

وَأَخْسَرَ يَعْقُوبَ مِنَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا ابْنُهُ ، أَنَّ يُوسُفَ
سَيَكُونُ لَهُ شَأنٌ عَظِيمٌ ، وَلِذَلِكَ أَمْرَهُ أَلَا يَقْصُنُ رُؤْيَاهُ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ إِخْوَتِهِ ..

فَلَمَّاذَا حَذَرَ يَعْقُوبُ ابْنَهُ أَنْ يَحْكِمَ مَا رَأَاهُ فِي الْحَلْمِ

لِإِخْوَتِهِ ١٩

لأنَّ يُوسُفَ كَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ ، وَكَانَ أَحَبَّ أَبْنَاءَ
يَعْقُوبَ إِلَيْهِ .. وَسَبَبَ حُبَّ يَعْقُوبَ الشَّدِيدَ لِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ بِنِيَامِينَ (وَهُمَا أَخْرَانِ مِنْ أُمٍّ وَاحِدَةٍ هِيَ
«رَاحِيلُ» ، بَيْنَمَا كَانَ بِقِيَّةُ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ مِنْ ثَلَاثَ
زَوْجَاتِ أَخْرَيَاتِ) .. بِسَبَبِ هَذَا الْحُبُّ كَانَ إِخْرَوَةُ
يُوسُفَ يَحْقِدُونَ عَلَيْهِ ، وَيَكْرَهُونَهُ هُوَ وَأَخَاهُ بِنِيَامِينَ ..
وَلِذَلِكَ خَافَ يَعْقُوبُ عَلَى أَبْنَهِ يُوسُفَ مِنْ إِخْرَوَهِ ..
خَافَ أَنْ يُؤْسِسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَيَكِيدُوا لِيُوسُفَ
أَوْ يُوقِعُوا بِهِ الْأَذَى ، إِذَا أَخْسَوْا إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ فَضَّلَهُ
عَلَيْهِمْ ، أَوْ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ..
وَلِهَذَا قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُهُ وَيَخْتَصُّهُ
وَيَعْلَمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ..

أَيُّ أَنَّ اللَّهَ يَهْبِئُ يُوسُفَ مُنْذُ صَغْرِهِ ، لِيَكُونَ قَادِرًا
عَلَى تَفْسِيرِ الْأَخْلَامِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا تَرَمَّزُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورٍ
غَامِضَةٍ ، وَهَذَا مِنْ نِعْمَ اللَّهِ عَلَى أَلِّ يَعْقُوبِ ..
وَتَنْفُضُ الْأَخْدَاثُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَنَرَى إِخْرَوَةُ يُوسُفَ ،



وَقَدْ اجْتَمَعُوا مَعًا يَتَبَاحَثُونَ
وَيَنَاقِشُونَ فِي أَمْرِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ بَنِيَامِينَ ..

فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

- إِنَّ أَبَانَا يُحِبُّ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ أَكْثَرَ مِنْ
جَمِيعِهَا ، بَلْ وَيُقْرَبُهُمَا إِلَيْهِ باسْتِهْرَارٍ .. فَلِمَادِا؟!

فَرَدَ عَلَيْهِ الْآخَرُ :

- إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، إِذْ يُحِبُّهُمَا ،
وَيُنْفَضِّلُهُمَا عَلَيْنَا ..

فَقَالَ الْثَالِثُ :

- يَحْبُّ أَنْ تَخْلُصَ مِنْ يُوسُفَ ، حَتَّى يُضْعِجَ
يَعْقُوبَ خَالِصًا لَنَا ، فَلَا يَحْبُّ أَحَدًا غَيْرَنَا ..

فَقَالَ الرَّابِعُ :

- نَقْتُلُهُ وَنَسْتَرِيحُ ..

فَقَالَ الْأَوَّلُ :

- لَا .. لَا نَرِيدُ الْقَتْلَ .. لِمَاذَا لَا نُلْقِيهِ فِي الْجَبَّ ،
فَتَلْتَقطُهُ قَافِلَةٌ مِنَ الْقَوَافِلِ الْمُسَافِرَةِ فِي الصَّخْرَاءِ ،
وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ إِلَى الأَبَدِ .. سَذَّهَ بِهِ الْقَافِلَةُ بَعِيدًا ..
إِلَى بَلْدٍ أَخْرَى ، وَلَنْ يَرَاهَا أَبُونَا بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا ..

وَلَقِيَ هَذَا الاقتِراحُ اسْتِخْنَانًا مِنْ إِخْرَوَةِ يُوسُفَ ..
فَقَرَرُوا تَنْفِيذَهُ مِنَ الْغَدَرِ .. وَلَكِنْ كَيْفَ يَأْخُذُونَ يُوسُفَ
مَعَهُمْ إِلَى الْمَرْعَى ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ مَدِيَّ تَمَثِّلَكَ أَبِيهِمْ بِهِ!
لَقَدْ قَرَرُوا أَنْ يَخْتَالُوا عَلَى أَبِيهِمْ ، حَتَّى يَسْمَحَ لَهُمْ
بِأَخْذِ أَخِيهِمْ مَعَهُمْ .. لِذَلِكَ ذَهَبُوا إِلَى يَعْقُوبَ ، وَقَالُوا لَهُ :
- إِنَّ يُوسُفَ أَخُونَا ، وَكُلُّنَا نُحْبِهُ مِثْلَمَا تُحْبِهُ أَنْتَ تَمَامًا ..

فَقَالَ يَعْقُوبُ :

- أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا صَادقِينَ فِي مَشَاعِرِكُمْ نَحْوَهُ . . .

ولكُنْ مَاذَا تُرِيدُونَ !؟

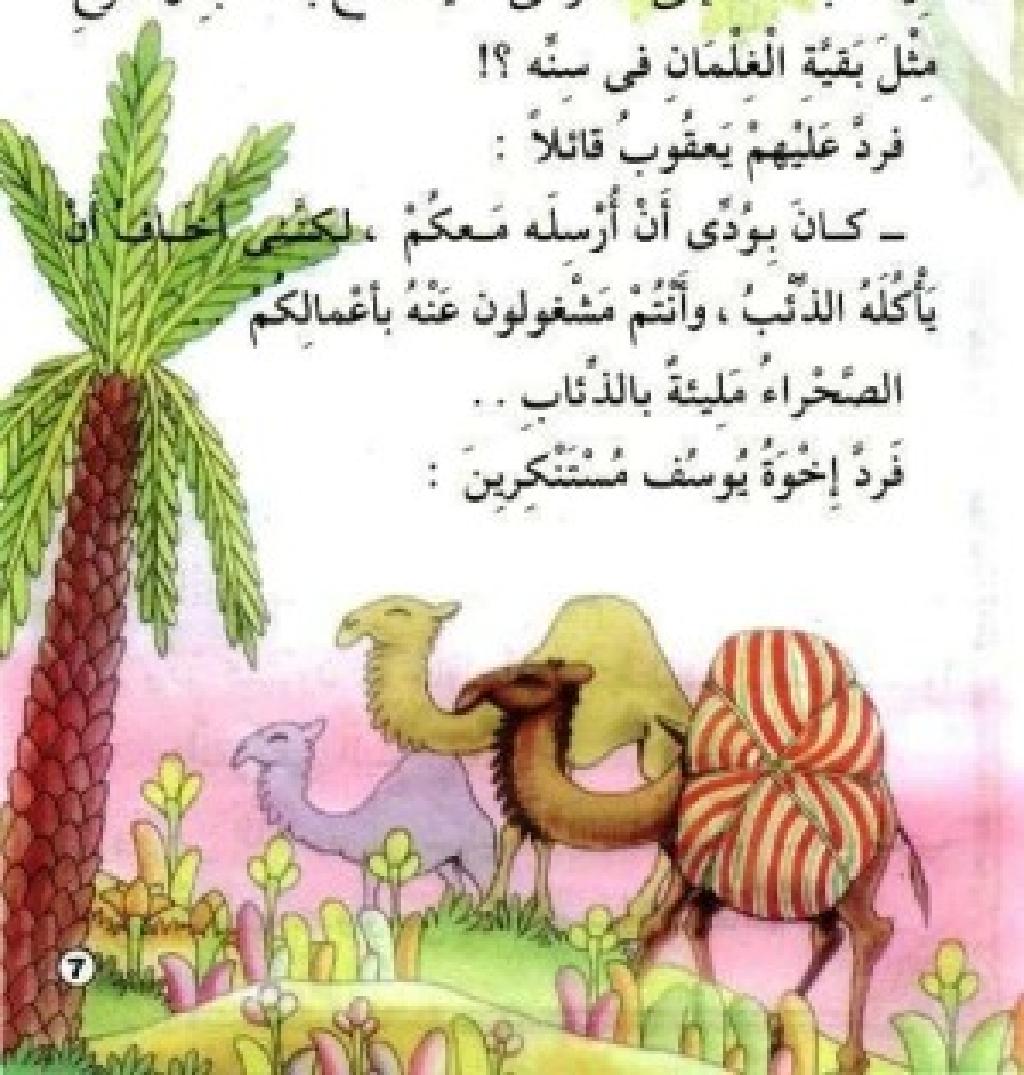
فَقَالَ إِخْرَوَةُ يُوسُفَ :

- مَاذَا تَبْقِي يُوسُفَ بِجَوَارِكَ دَائِنًا !؟ لِمَاذَا لَا تَسْمَعُ لَهُ
لِيَذْهَبَ مَعَنَا إِلَى الْعَرَقِيِّ ، لِيَسْتَمْعَ بِاللَّعْبِ وَالْمَرْحِ
مِثْلَ بَقِيَّةِ الْغَلَمَانِ فِي سَيْنَهِ !؟

فَرَدَ عَلَيْهِمْ يَعْقُوبُ قَاتِلًاً :

- كَانَ بُؤْدِي أَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ ، لِكُنْتُ أَخَافُ أَنْ
يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ ، وَأَتُمُّ مُشْغُولَوْنَ عَنْهُ بِأَعْمَالِكُمْ
الصَّحْرَاءُ مَلِيَّةٌ بِالذَّئْبِ . . .

فَرَدَ إِخْرَوَةُ يُوسُفَ مُسْتَكِرِينَ :



- كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا ! هَلْ مِنْ الْمَعْقُولِ أَنْ تَرْكَ
أَخَانَا لِيَأْكُلَهُ الذَّئْبُ ، وَنَخْنُ كَثِيرُونَ ! لَا تَخْفَ عَلَيْهِ ،
سَتَخْرُسْهُ ، وَلَنْ يَجْرُوَ الذَّئْبُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنْهُ ، إِلَّا
كُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ ..

وَهَكُذا ظَلَّ إِخْرَوَةُ يُوسُفَ يَجَادِلُونَ أَبَاهُمْ ، حَتَّى
أَفْتَأْنُوا بِأَنَّ يُوسُفَ سَيَكُونُ مَعَهُمْ فِي أَمَانٍ ، فَوَافَقَ
يَعْقُوبُ عَلَى ذَهَابِهِ مَعَهُمْ غَدًا إِلَى الْمَرْغَى ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي اضْطَرَبَ الْإِخْرَوَةُ أَخَاهُمْ يُوسُفَ مَعَهُمْ
إِلَى الصَّخْرَاءِ .. وَيَدُءُوا تَنْفِيذَ خَطْبَتِهِمُ الشُّرِيرَةَ بِالتَّخْلُصِ
مِنْ يُوسُفَ .. بَحْثُوا عَنْ بَشَرٍ فِي طَرِيقِ الْقَوَافِلِ الْمُسَافِرَةِ
بِالتجَارَةِ .. وَأَسْكَوْا يُوسُفَ وَنَزَعُوا عَنْهُ قَمِيصَهُ ..

حَاوَلَ يُوسُفُ هَذِهِ أَنْ يُقاوِمُهُمْ .. لَكِنَّهُ فَشَلَ .. فَهُوَ
فَرَدٌ وَهُمْ كَثِيرُونَ .. حَاوَلَ أَنْ يَسْتَعْظِفُهُمْ ، فَلَمْ يَنْصِبُوا
لَهُ .. وَالْقُوَّةُ فِي الْبَشَرِ ..

وَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ أَلَا يَخَافَ ، لَأَنَّهُ سَوْفَ يَنْجِي
مِنَ الْمَوْتِ .. وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ سَوْفَ يَلْقَاهُمْ ، وَسَوْفَ

يُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ مَعَهُ .. وَلَمْ يُصْبِتْ يُوسُفَ بِأَذْنِي
دَاخِلَ الْبَرِّ ، لَاَنَّ اللَّهَ كَانَ يَحْفَظُهُ ..
أَمَّا إِخْوَةُ يُوسُفَ ، فَبَعْدَ أَنْ اطْمَأَنُوا إِلَى سُقُوطِ
أَخْبِرَهُمْ فِي الْبَرِّ ذَبَحُوا شَاءَ ، وَلَطَخُوا قَمِيصَ يُوسُفَ
بِدَمِهَا وَفِي الْمَسَاءِ ، قَادُوا أَغْنَامَهُمْ ، عَانِدِينَ ..
وَعِنْدَمَا أَصْبَحُوا قَرِيبًا مِنَ الدَّارِ أَخَذُوا يَبْكُونَ ،
وَيَمْثُلُونَ الْحُزْنَ .. وَدَخَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ ، فَلَمَّا رَأَهُمْ
سَالَّهُمْ عَنْ سَبِبِ بُكَائِهِمْ وَحُزْنِهِمْ ، قَالُوا لَهُ :

- يا أبايا : لقد ذهبنا نتسابق معاً في الجري ، وتركتنا
يوسف عند غنمها وأشيائنا ، فلما عدنا من السباق ،
لم نجد يوسف .. وجذنا الذئب قد أكله ، ولم يترك منه
 شيئاً سوى قميصه .. ونعرف أنك لن تصدقنا ، حتى
 ولو كنا صادقين ..

وقد نوا القميص لأبيهم ، فتأمل يعقوب عليه القميص ،
 صحيح أنه كان ملطخاً بالدماء ، لكنه كان سليماً ، ولم
يكن به أي قطع أو تمزق من أنياب الذئب .. فعرف
يعقوب أن أبناءه يكذبون ، وأن الذئب لم يأكل يوسف ،
 وأنهم قد احتالوا على إخفاء يوسف ..
ولذلك خاطبهم يعقوب عليه قائلًا :

- أغرف أن الذئب لم يأكل ولدي ، وأغرف أن
أنفسكم قد سولت لكم أمراً ، فصبر جميل ، والله
وحده هو المستعان على ما تصفون ..

استعان يعقوب عليه في مختنه بالله تعالى ، وطلب منه
أن يلهمه الصبر الجميل ، على ما دبره أبناءه

مِنْ كَيْدِهِ وَلِيُوسُفَ ..

وَنَعْوَدُ إِلَى يُوسُفَ أَنْهُ فَتَرَاهُ وَحِيداً دَاخِلَ الْبَشَرِ ،
لَكِنَّهُ لَيْسَ خَائِفًا ، لَا نَهُ يَدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ ، وَلَنْ
يُخْزِنَهُ ، وَقَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يَهْلِكَهُ ، بَلْ سَيَّجِيهِ ..
كَانَ يُوسُفُ دَاخِلَ الْبَشَرِ ، عَارِيًّا مِنْ قَمِيصِهِ ، وَهُوَ يَدْعُو
رَبَّهُ .. وَقَلْبُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ مَعَهُ فِي مَحْتِهِ ..
وَلَمْ تَطُلْ وَحْدَةٌ يُوسُفَ دَاخِلَ الْبَشَرِ ..
فَهَا هِيَ ذِي قَافِلَةِ تِحَارِيَّةٍ تَقْطَعُ الصَّخْرَاءِ ..



القافلة في طريقها إلى مصر .. ورحمة الله تذكرك
يوسف .. ورأى قادة القافلة البشر ، فأصدر قائدُهم أمرًا
إلى القافلة بالتوقف حين التزويد بالماء ؛ حتى يشربوا
ويستقوا دوابهم ..

وتقديم أحد رجال القافلة ، وهو المسؤول عن
استخراج الماء .. فأخذ الرجل بالدلو وألقى به في
البشر .. وأحسن يوسف منه بالدلو برعيم ظلام البشر
الشديد ، فتعلق به ..

وفي أعلى البشر ، سحب الرجل حبل الدلو ، وهو
يقطن ممتلئا بالماء .. لكنه فوجئ بدأ الماء ، بغلام
متعلق بالدلو ؛ فصاح فرحاً :

ـ يا بشرى .. هذا غلام ، وكنت أظنه ماء ..

استبشر وارد الماء يوسف ، حين عشر عليه ، وقال
لشركائه في القافلة :

ـ يجب أن تخفي أمر هذا الغلام عن بقية التجار
في القافلة ، حتى لا يطلبوا مشاركتنا فيه ، ويطلبوا

نصيّبِهِمْ فِي ثَمَنِهِ عِنْدَمَا تَبِعُهُ
فَوَافَقَهُ شَرْكَافَةُ .. وَهَكُذا أَخْفَقُوا أَمْرَ
يُوسُفَ عَنْ بَقِيَّةِ التُّجَارِ ، وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ..
أَلْهَزَ أَخْفَقُوهُ بَيْنَ بِضَاعَتِهِمْ ..



وواصلت القافلة سيرها بعد التزود بالماء في طريقها إلى مصر .. وأصبح يوسف عبداً رقيقاً .. وفي مصر باعوها يوسف في سوق النحاسين ، حيث باع العبيد والجواري على أيدي تجار الرقيق .. وفي ذلك الزمن البعيد ، كان الرقيق يباعون مثل الجواري ؛ حتى جاء الإسلام فألغى نظام الرقيق وحرر العبيد .. وقد باعوها يوسف بشمن قليل بخس .. باعوه بعدد من الدراهم ، لا أول إنسان طلب شراءه .. كان كُلُّ همهم هو التخلص من يوسف ..

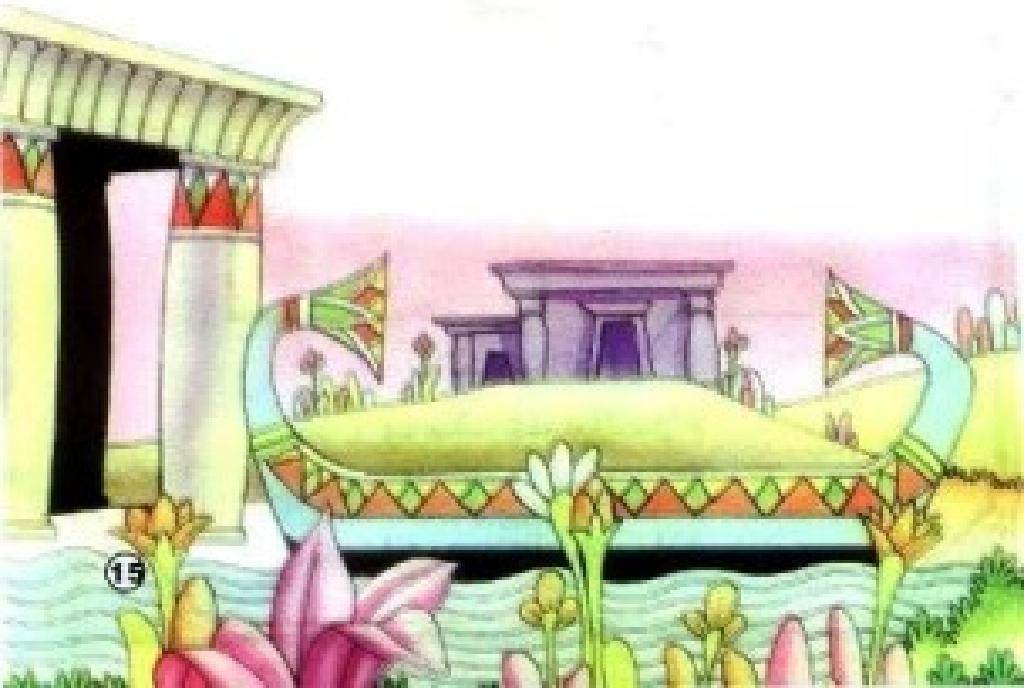
وكان الذي اشتَرَى يوسف رجلاً ثرياً من عليه القوم .. اشتراه عزيز مصر .. وهو شخص تشبه وظيفته اليوم وظيفة كبير الوزراء ، أو رئيس الوزراء .. وهو الشخص الثاني في الدولة بعد الفرعون أو الملك .. وقد فرح عزيز مصر بيوسف ، فطلب من زوجته أن تخْسِنَ إلى يوسف ، وأن تُكْرِمَ إقامته عند هُم ، على أن يتفعَّلُما أو يتَّخِذَا منه ولداً ..

وَهَكُذَا مَكَنَ اللَّهُ لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ ، بِرَغْمِ أَنَّهُ قَدْ
أَصْبَحَ عَبْدًا رَّقِيقًا فِي بَيْتِ عَزِيزٍ مِّصْرَ ..

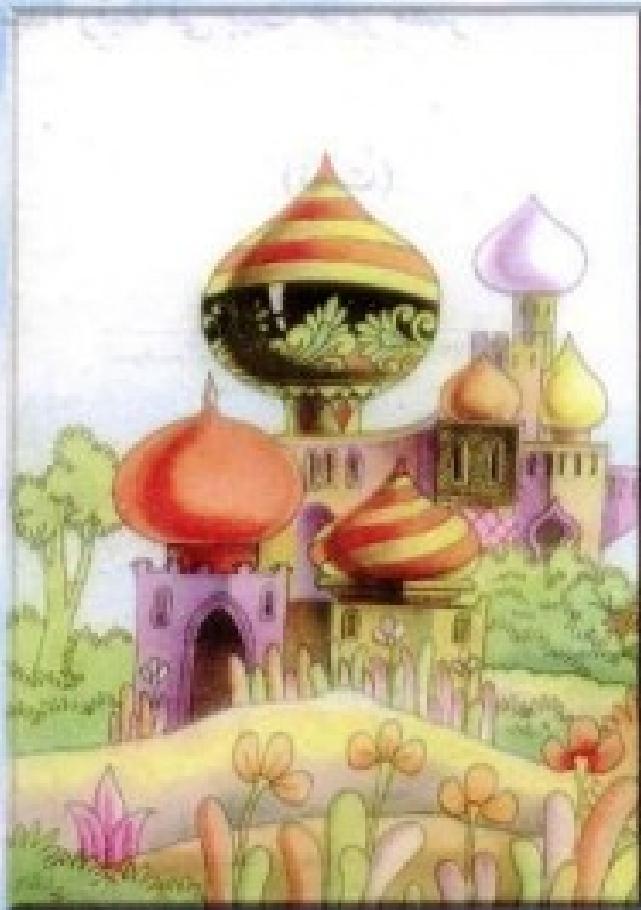
(تمّ*)

رَمَ الإِبْدَاعِ : ٢٦٦

الصَّرْفِيَّةِ الْعَوَالِيِّ : ٢٨٩ - ٢٩٦ - ٩٦٧



قصص الانبياء



الكتاب التالي
يوسف عليه السلام
(٢) المحنـة
احرص على افتتاحـة